المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-06-2006
الصفحـات : 56
العـــدد : 12314
المسلسل : 274

ملف صحفي

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-06-2006 العـــدد : 12314
الصفحـات : 56 المسلسل : 274

التعليم والتنمية من يصنع الآخر؟

د. محسن بن عبدالرحمن المحسن(*)

تحظى جامعة القصيم اليوم بزيارة تاريخية من رجل التعليم الأول خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لتدشين مجموعة من مشروعات الجامعة تفوق قيمتها المليار ريال، وهذا دليل على مدى اهتمام هذا الرجل بالتعليم، وهو جزء من دعم متواصل لمنظومة التعليم في بلادنا؛ فقرابة 10٪ من الدخل القومي مخصص لمشروعات وبرامج التعليم، و25٪ من ميزانية الدولة تذهب للتعليم، أي ما يقارب ربع ميزانية الدولة، وهي أرقام مقنعة كثيراً في حجم الدعم الذي تتلقاه مؤسسات التعليم لكن يبقى أثر هذا الدعم ومخرجاته، وعلاقته بالتنمية، وهو المحور الأهم والمهم في معضلة التعليم! فعالمنا اليوم يشهد تغيرات وتحديات كبيرة لها تداعياتها الضخمة على مؤسسات التعليم العالي، من أبرزها الثورة التقنية والانفجار المعرفي، والحرية الاقتصادية والتجارية، والتغير في طبيعة المهن، والاهتمام بالجودة في التعليم، وازدياد مساحة التعاون الدولي، وظهور الجامعات الخاصة، وزيادة الطلب على التعليم الجامعي، وظهور تخصصات بينية تجمع بين أكثر من تخصص، والقائمة تطول، وهذه المتغيرات وتداعياتها كلها مجتمعة تؤكد مرة أخرى بأن المعرفة اليوم تحولت إلى مصدر كبير من مصادر الإنتاج، وميزة تنافسية بين أمم الأرض وشعوبها، وبالتالي أظهرت لاعبين جدداً ومؤسسات ناشئة على الساحة التنموية وسوق التعليم العالي، فمثلاً في أحد الأرياف وفي منطقة نائية قريبة من الدائرة القطبية في فنلندا استطاعت إحدى الجامعات الصغيرة وهي جامعة أولو في أن تجذب شركات عالمية تتنافس وبشدة على خريجيها كشركة نوكيا الشهيرة في عالم الاتصالات وذلك عندما استطاعت أن توظف التقنية بصورة عملية وتجعلها ركيزة أساسية في مقرراتها الجامعية، وتحولت ساحاتها إلى حدائق علمية تجري على واحاتها البحوث التطبيقية في ميادين الإلكترونيات والطب والتكنولوجيا الحيوية. أيضاً هناك جامعة أخرى في اليابان وهي جامعة كيو استطاعت أن تكون منطقة جذب للشركات اليابانية متعددة الجنسيات وتسابقت هذه الشركات إلى التعاقد مع خريجيها وذلك بعد أن قامت بصياغة مقررات لبرامج الفروع العلمية متنوعة التخصصات في المعلومات البيئية والتمريض والرعاية الصحية.

أما البلد الذي يحظى باهتمام بالغ في أدبيات التعليم العالي في هذه الفترة ومحط اهتمام وأنظار المشتغلين في التطوير الأكاديمي فهي إيرلندا، وأما لماذا إيرلندا بالذات؟ فلأنها بلد صغير مقارنة بدول الاتحاد الأوروبي، ومع ذلك أصبحت أغنى بلد بعد ولكسمبورغ! ولكم أن تسألوا شركات الصيدلة وشركات المعدات الطبية وشركات تصميم البرامج الإلكترونية، عن حجم القفزات التنموية السريعة لهذا البلد! كما استطاعت هذه الدولة أن تزاحم الدول الأخرى أيضاً وتفرض نفسها في جذب الطلاب للدراسات العليا لجامعاتها وأن تشارك في كعكة الـ30 مليار دولار كدخل سنوي للبلدان المضيفة للجامعيين الأجانب. هذه نماذج من عشرات النماذج المتناثرة على خارطة العالم اليوم التي استطاعت أن تستوعب حجم المتغيرات والتحولات العالمية وتوظفها بطريقة صحيحة ومدروسة في خدمة التنمية، وذلك عبر مؤسسة التعليم! ترى ما السر في النهوض المتسارع لديهم وفي غضون سنوات فقط!؛ بينما كتب علينا نحن أن نبقى شهوداً على هذا التقدم وأن يكون حظنا فقط هو استعراض هذه التجارب بين فترة وأخرى! فبالأمس القريب اليابان وماليزيا وسنغافورة، واليوم إيرلندا ونيوزلندا وكندا وأستراليا! متى يكون لنا حضورنا الفاعل في التعليم العالي؟

إن قراءة هذه النماذج وفحصها ومعرفة تفاصيل هذا السر هي خطوات ذكية ومهمة لا شك، لكن يبقى الأهم هو تجاوز القراءة النظرية إلى تشخيص دقيق لواقعنا الأكاديمي وتقدير حجم وأسباب الممانعة غير المرئية لبرامج التطوير والتجديد، والتعرف عن قرب على مناطق ومواضع القلق الأكاديمي وتجاوزها.وزيارة خادم الحرمين الشريفين لجامعة القصيم اليوم هي وجه من وجوه الدعم المتواصل لمؤسسات التعليم العالي في بلادنا.

(*)عميد كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية